

الباب الأول

الأصول النظرية

الفصل الأول

التربية المقارنة : تعريضا وأهدافها

تمهيد :

يرجع الاهتمام بوصف النظم التعليمية الأجنبية أو التعرف عليها إلى زمن طويل يصعب تتبع بدايته على وجه التحديد . ولذلك درج دراسو التربية المقارنة على اعتبار هذه الفترة فترة ما قبل التاريخ العلمي للتربية المقارنة . وربما كان شنايدر ، المؤرخ الألماني المعروف والذي سيرد ذكره بالتفصيل ، أول من اهتم بدراسة هذه المرحلة قبل التاريخية للتربية المقارنة . وتلاه في ذلك بريكمان الذي سيرد ذكره أيضا .

وقد درجه دراسو التربية المقارنة أيضا على التأريخ لها بروادها الأوائل من الأوربيين والأمريكيين على السواء على الرغم من أن بين علماء العرب من يستحق عن جدارة أن يذكر على أنه من روادها أيضا . ويأتي في مقدمة هؤلاء ابن بطوطة وابن جببير وابن خلدون . فقد تعرض ابن بطوطة في رحلته المشهورة المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " إلى إشارات عن المدارس والتعليم في بعض البلاد التي زارها . وقد وصف ابن بطوطة المدرسة المستنصرية التي تنسب إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله في القرن الثالث عشر في بغداد ، وكان يدرس بها المذاهب الأربعة فيقول :

" لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس وجلسو المدرس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ، ويقعد المدرس عليه السكينة والوقار لايسا ثياب السواد معتما وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يمليه . وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة . وفي داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار الوضوء " . ووصف جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية وعرض باختصار لمدرسيه ومعلميه ووصف طرقهم في التعليم وأشهر المدرسين به . وذكر أيضا مدارس الشافعية بدمشق كالعادلية والظاهرية وإن كانت مجرد إشارة إلى الأسماء فقط دون التعرض بالتفصيل لوصفها . (ابن بطوطة : ص ٧١ - ٨٠) .

وذكر بعض علماء مصر والاسكندرية . وهي إشارات قليلة في الواقع بيد أنها كانت تذكر عرضا دون اهتمام بالتفاصيل التي تزيد من أهميتها كمعلومات تربوية . وابن جبير الرحالة العربي المشهور في القرن الثاني عشر وصف مدارس بغداد وأهمها المدرسة النظامية . أما ابن خلدون فقد كتب في مقدمته فصلا ممتعا عن تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه . يقول ابن خلدون (المقدمة : ص ص ٦٢٩ - ٦٣٢) :

" فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الإقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائلة واختلاف جملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شئ من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه . فيكون انقطاعه في الغالب إنقطاعا عن العلم بالجملة . وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر . وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو . وهذا هو الذي يراعونه في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط . بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط أو الكتاب . وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف روايته وقراءته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك . وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس . وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا أدري بِمَ عنايتهم منها . والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشيبية . ولا يخلطون بتعليم الخط . بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراد كما تتعلم سائر الصنائع . ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان . وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجابة . "

وربما كانت من الإشارات القليلة التي يعترف بها كاتب غربي بفضل ابن خلدون ما ذكره بريكمان من أن ما كتبه ابن خلدون عن أوجه التشابه والاختلاف

الثقافي والتربوي في مختلف المجتمعات يؤهله بدون تحيز لأن يكون باحثا في التربية المقارنة (Brickman : pp . 33 - 47) .

والتربية المقارنة كميدان من ميادين الدراسة تعتبر حديثة النشأة نسبيا . وقبل الحرب العالمية الثانية كانت ماتزال في طفولتها على الرغم من وجود رواد مهمين أمثال " ماثيو أرنولد " في القرن التاسع عشر بتقاريره عن التربية في أوروبا و" كاندل " في القرن العشرين بما كتبه عن النظم التعليمية في الدول المختلفة . ومنذ منتصف العقد الخامس سنة ١٩٤٥ بدأت اليونسكو تسهم بنشاط في الدراسات المقارنة وبمطبوعاته التي تنشرها عن التربية ومشكلاتها في بلاد العالم المختلفة . وكثير من المواد التي ظهرت في ميدان التربية المقارنة كانت بالضرورة ذات طابع وصفي وتحليلي . منها ما كتبه " كاندل " ١٩٣٣ بعنوان : دراسات في التربية المقارنة : Studies in Comparative Education وفي فبراير سنة ١٩٣٠ نشر « هانز وهسن » كتابهما عن السياسة التعليمية في روسيا . وفي سنة ١٩٣٩ نشر ماير A. Meyer كتابه عن تطور التعليم في القرن العشرين : The Development of Education in the Twentieth Century . وفي سنة ١٩٤٩ نشر هانز كتابه عن التربية المقارنة : Comparative Education . وفي سنة ١٩٥١ نشر « موهلمان وروسيك » Moehlman and Rouceek كتاب التربية المقارنة : Comarative Education وفي سنة ١٩٥٦ نشر كرامر وبراون Cramer and Browme الطبعة الأولى من كتاب : A. Comparative Study of Educational Systems : A Comparative Study of Educational Systems . وفي سنة ١٩٦٠ نشر كر Ker كتابه عن مدارس أوروبا Schools of Europe وتلاه كتاب أوليخ Ulich تربية الشعوب :

وفي السنوات الأخيرة ظهرت جهود ومؤلفات جادة في الميدان من أبرزها كتاب بيريداي عن الطريقة المقارنة في التربية (١٩٦٤) Comparative Method in Education وهولمز « مشكلات التربية : دراسة مقارنة » (١٩٦٥) Problems of Education وكتاب جرانت Grant عن « المجتمع والمدارس والتقدم في أوروبا الشرقية » (١٩٦٩) Society , Schools and Progress in Eastern Europe وكتاب نوح وإكشتاين بعنوان : « نحو علم للتربية المقارنة » (١٩٥٩) Toward A Science of

Comparative Education وكتابهما الأخير من تحريرهما بعنوان « استقصاءات علمية في التربية المقارنة » : Scientific Investigations in Comparative Education وكتاب جونز Jones عن التربية المقارنة Comparative Education وكتاب كنج King بعنوان : Comparative Studies and Educational Decision , 1968 .

وبهنا أن نشير هنا أيضا إلى ثلاثة مراكز لعبت دورا هاما في تطوير التربية المقارنة وتقدمها وهي : المركز الدولي للتربية بجنيف - سويسرا ، ومعهد التربية بجامعة لندن - إنجلترا ، والمعهد الدولي لكلية المعلمين بجامعة كولومبيا بمدينة نيويورك . ويجب أن يضاف إلى هذه المراكز أيضا ما قامت به منظمة اليونسكو من جهود وأنشطة تربوية مقارنة وما قامت به أيضا المنظمات الإقليمية في مختلف الدول منها منظمة التعاون الاقتصادي لدول أوروبا OECD .

ومن التطورات الهامة الحديثة في التربية المقارنة ظهور البنك الدولي في مجال البحوث والدراسات المقارنة . وهو يعتبر مصدرا هاما للمعلومات للباحثين في التربية المقارنة . لكن يعاب على دراسات البنك الدولي أنها ليست متاحة للباحثين لأنها عادة جزء من برامج البنك للمعونة والقروض للدول النامية . ومن الدراسات الهامة التي نشرها البنك حديثا وأثارت اهتماما كبيرا : التربية جنوب صحراء إفريقيا ١٩٨٨ . وما يزيد من أهمية هذه الدراسات التي يقوم بها البنك الدولي أن جهود اليونسكو في مجال الدراسات المقارنة قد تضاعف في السنوات الأخيرة إلى حد كبير .

وبالنسبة للمنطقة العربية نلاحظ تضائل جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مجال الدراسات العربية المقارنة في السنوات الأخيرة بعد أن كانت منشورات المنظمة مصدرا مفيدا للدارسين والباحثين في التربية المقارنة . ومن ناحية أخرى يجب الإشادة بجهود مكتب التربية العربي لدول الخليج الذي يقوم بنشر دراسات وإحصاءات تعليمية هامة تعتبر مصدرا مفيدا للدارسين والباحثين ، وإن كانت غالبيتها خاصة بدول الخليج العربية .

ومن التطورات الهامة أيضا ظهور موسوعات التربية الدولية والمقارنة في السنوات الأخيرة والتي تعتبر مرجعا رئيسيا هاما لكل باحث في الميدان . ومن

أهم هذه الموسوعات : الموسوعة الدولية للتربية . وهي بأجزائها العشرة تعتبر أضخم الجهود المنشورة في الميدان وتبين الطبيعة العالمية للتربية المقارنة خلال العقود الماضية . ومحررا الموسوعة أحدهما أستاذ جامعة سويدي والثاني عالم بريطاني يعمل في ألمانيا . وناشر الموسوعة هيئة بريطانية متعددة الجنسيات . والمؤلفون من دول كثيرة . والموسوعة نفسها باللغة الإنجليزية . وهناك موسوعة التربية المقارنة ونظم التعليم القومية ، ومحرر هذه الموسوعة هو أحد محرري الموسوعة السابقة . وأحدث هذه الموسوعات هي الموسوعة الدولية للتعليم العالي المقارن ، والتي يحررها "فليب ألتباخ" عالم التربية المقارنة الأمريكي المعاصر المعروف والتي صدرت عام ١٩٩١ .

ومن التطورات الحديثة الهامة ظهور العديد من مجلات التربية المقارنة التي تعتبر مصدرا حيويا هاما للباحثين لأنها تحتوي على دراسات ومعلومات حديثة ومتجددة باستمرار . منها مجلة التربية المقارنة التي تصدرها الجمعية الأمريكية للتربية المقارنة والدولية . وهي المجلة الوحيدة التي تنشر حاليا في التربية المقارنة في أمريكا . وقد صدر هذا العام ١٩٩١ المجلد الخامس والثلاثين بأعداده الثلاثة . ومحررها هو عالم التربية المقارنة الأمريكي المعروف الذي سبقت الإشارة إليه .

وهناك مجلة التربية الكندية والتربية العالمية . وهي المجلة الوحيدة للتربية المقارنة في كندا . وفي إنجلترا توجد مجلة التربية المقارنة التي يرأس تحريرها إدموند كنج أستاذ التربية المقارنة المعروف الذي عمل بجامعة لندن حتى إحالته إلى المعاش . وقد صدر منها عام ١٩٩١ المجلد ٢٧ بأجزائه الثلاثة . وهناك مجلة التربية الدولية التي ينشرها معهد اليونسكو للتربية في هامبورج بألمانيا . وقد صدر منها المجلد ٣٧ بأعداده الأربعة ١٩٩١ . وهناك المجلة البريطانية للدراسات التربوية ، وهي تنشر دراسات تربوية مقارنة . وقد صدر منها العدد ٣٩ بأعداده الأربعة عام ١٩٩١ . وهناك مجلات متخصصة تنشر دراسات مقارنة من أهمها :

Journal of Educational Policy. Taylor & Francis Ltd. Lonson.

Washington. Dc. Vol.6. Nos. 1-4 1991.

- Journal of Educational Administration. MCB University Press Ltd.
Bredford. England. Vol. 29 Nos.1-4 1991.

- The International Journal of Higher Education and Educational Planning.
Vol. 16. Nos. 1-3 1991.

وهي مجلة تصدرها جمعية بحوث التعليم العالي في بريطانيا (SRHE)،
وهناك أيضا مجلة الرابطة البريطانية للإدارة التعليمية :

Educational Management & Administration . Journal of The British Educational
Management & Administration Society . Longman .
وهناك المجلة الدولية

لتعليم الكبار الجامعيين : International Journal of University Adult Education .

التي ينشرها المؤتمر أو المجلس Congress الدولي لتعليم الكبار الجامعي .
ومقر هذا المجلس في كندا لكن محرر المجلة أستاذ بريطاني "ديوك" Duke
بجامعة وارريك Warwick . ومساعدته تشارلز ونج Charles Wong بالجامعة الصينية
بهونج كونج . وقد صدر منها المجلد الثلاثون لعام ١٩٩١ بأعداده الثلاثة .
وهناك History of Education . Quarterly وهي مجلة تصدرها الجمعية
الأمريكية لتأريخ التربية . وهي تنشر دراسات تاريخية في التربية تفيد باحثي
التربية المقارنة باعتبار أن التربية المقارنة تمثل الإمتداد المعاصر لتاريخ التربية .

تعريف التربية المقارنة :

هناك عدة تعريفات للتربية المقارنة نعرضها فيما يلي منسوبة لأصحابها :

١- تعريف جولييان : يعرفها جولييان الذي يلقب بأبي التربية المقارنة بأنها
الدراسة التحليلية للتربية في البلاد المختلفة بهدف الوصول إلى تطوير النظم
القومية للتعليم وتعديلها بما يتماشى مع الظروف المحلية . ويقول جولييان :
« إن التربية شأنها شأن العلوم الأخرى تقوم على أساس الحقائق والملاحظات .
ومن الضروري ترتيب هذه الحقائق والملاحظات في جداول تحليلية تسمح
بالمقارنة بينها لنستنتج منها بعض المبادئ والقواعد العامة السائدة بينها . و

بهذا يمكن للتربية أن تصبح علما إيجابيا بدلا من تركها نهبا للأراء الضيقة المحدودة وأهواء ونزوات أولئك الذين يسيطرون عليها « (Fraser : p . 40)

ويبدو من هذا التعريف اهتمام جوليان بالجانب التحليلي في دراسة التربية المقارنة بهدف نفعي إصلاحي ، ومع أن صاحب التعريف قد مضى عليه زمن طويل فإن تعريفه مازال يلقى قبولا لدى المحدثين من دراسي التربية المقارنة .

٢- تعريف كاندل : يعرفها كاندل بأنها الفترة الراهنة من تاريخ التربية المقارنة، أو أنها الإمتداد بتاريخ التربية حتى الوقت الحاضر . وينظر إليها كاندل على أنها مقارنة للفلسفات التربوية المختلفة ، ودراسة هذه الفلسفات التربوية وتطبيقاتها السائدة في الدول المختلفة (Kandel : p . xx) .

ويقول كاندل : إن الهدف من التربية المقارنة كما هو الحال في القانون المقارن والأدب المقارن والتشريح المقارن هو الكشف عن أوجه الاختلاف في القوى والأسباب التي يترتب عليها فروق في النظم التعليمية . وذلك للتوصل إلى المبادئ الكامنة التي تحكم تطور جميع النظم القومية للتعليم . وهو في هذا يكرر نفس ما قاله جوليان من قبل .

٣- تعريف ما لينسون : يعرف ما لينسون التربية المقارنة « بأنها الدراسة المنظمة للثقافات من أجل اكتشاف أوجه الشبه والاختلاف . ولماذا كانت هناك حلول مختلفة (بما لها من نتائج) لمشكلات قد تكون عامة ومشاركة للجميع؟ وهو يشير إلى أن التعرف على مشكلات التربية في الدول الأخرى يعتبر من أهم الواجبات الأولية لأي باحث في هذا الميدان ، وأن أي دارس جاد لأموار التربية في عصرنا الراهن يلزمه أن يكون على ألفة بما يجري في البلاد الأخرى . وبهذه الطريقة فقط يستطيع أن يدرس وأن يفهم نظام بلده ، وأن يخطط لمستقبل تطوره بذكاء ووعي (Mallinson : p . 10) . وهنا نجد تأكيد ما لينسون لدراسة الإطار الثقافي للأظمة التعليمية ، وما يترتب على ذلك من أوجه الشبه والاختلاف . وذلك بهدف نفعي إصلاحي يمكن الاستفادة منه في إصلاح النظم القومية وتطويرها .

٤- تعريف لاوايز : يرى لاوايز أن على دارس التربية المقارنة ألا يكتفي

بوصف النظم التعليمية ، وإنما عليه أن يحلل هذه النظم ويفسرها . فالهدف من دراسة الوقائع التعليمية يجب أن يستهدف فهم أسباب وجود نظم تعليمية في بلد ما بالصورة التي هي عليها . وهو يرى أن الغرض من التربية المقارنة نظري وعملي معا . فهي توفر لدارسها المتعة العقلية الناتجة عن التأمل في النظم التعليمية إلى جانب أنها تكشف له عن العوامل التي تؤثر في تلك النظم (Lauwerys : p . 281) .

٥- تعريف بيرايدي : يعرف بيرايدي التربية المقارنة بأنها « المسح التحليلي للنظم التعليمية الأجنبية » . وفي عبارة أخرى يعرفها بأنها « الجغرافيا السياسية للمدارس من حيث عنايتها بالتنظيمات السياسية والاجتماعية من منظور عالمي . ومهمتها هي التوصل بمساعدة الطرق المستخدمة في الميادين الأخرى إلى الدروس التي يمكن إستخلاصها من المفارقات أو التباين في الممارسات التربوية في المجتمعات المختلفة كوسيلة لتقويم النظم القومية المحلية » .

ويؤكد بيرايدي أن التربية المقارنة لا يمكن أن يطلق عليها الفترة المعاصرة من تاريخ التربية كما يقول الآخرون . وهو يشير بذلك إلى كاندل . لأنها دراسة ذات طابع تتداخل فيه ميادين مختلفة . وهو يرى إذا كان على التربية المقارنة أن تنشأ شيئا ذا قيمة من دراسة أوجه الشبه والاختلاف في النظم التعليمية فإن ذلك لا يتحقق تماما إلا باعتمادها على ميادين متعددة كعلم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد والسياسة وغيرها . ومعنى هذا أن دارس التربية المقارنة يحتاج إلى مهارات أخرى غير المعلومات التربوية .

ويبدو بوضوح من تعريف بيرايدي تأثره بعلم الجغرافيا ، وهو ما سنشير إليه عند الكلام عن تقسيم بيرايدي لميادين التربية المقارنة . بيد أن بيرايدي يهتم أيضا بالجانب التحليلي والنفعي للدراسة المقارنة ، وأن هذه الدراسة تعتمد بالضرورة على الميادين الأخرى ، أي أنه ينظر إلى التربية المقارنة على اعتبار أنها تعتمد على علوم متعددة .

تعريف قاموس التربية :

تعرف التربية المقارنة في قاموس التربية بأنها مجال من مجالات الدراسة يتعلق بمقارنة النظريات التربوية وتطبيقاتها في بلاد مختلفة بهدف تعميق فهمنا للمشكلات التعليمية في بلادنا وكذلك في البلاد الأخرى (Good : p . 87)

خلاصة :

يتضح من استعراض التعريفات السابقة أن للتربية المقارنة موضوعا مستقلا بذاته . فهي تهتم بالتربية في كل أنحاء العالم . أي أنها تعنى بالتربية من منظور عالمي ، وأنها أيضا تعنى بالدراسة التحليلية للقوى الثقافية بهدف التوصل إلى فهم معقول لجوانب التشابه والاختلاف بين الأنظمة القومية للتعليم ومشكلاتها المختلفة . كما أن للتربية المقارنة مناهج خاصة بها شأنها في ذلك شأن القانون المقارن والأدب المقارن والتشريع المقارن . وهي في سبيل ذلك تعنى بالتوصل إلى الطريقة السليمة كأساس للمقارنة . وسنشير بالتفصيل فيما بعد إلى مناهج البحث والدراسة في التربية المقارنة وأساليبها . ويتضح أيضا من التعريفات السابقة أن التربية المقارنة تتضمن بالضرورة قيمة نفعية إصلاحية لتطوير نظم التعليم القومية . فللدراسات المقارنة أهمية في أنها تساعد في رسم السياسات التعليمية أو إتخاذ قرار أفضل أو تأييد وجهة نظر معينة . وهو أيضا ما سنشير إليه بتفصيل أكثر عند الكلام عن أهداف التربية المقارنة .

وينبغي لفهم النظم التعليمية أن نتعمق في تحليل القوى السياسية والاجتماعية التي تحكمها . ذلك أن النظم التعليمية تعكس عادة الفلسفة الاجتماعية والسياسية السائدة بصرف النظر عما إذا كانت هذه الفلسفة مصرحا بها ومعلنا عنها أم لا .

فليس هناك إطار موحد لنمو النظم التعليمية . فبعضها جاء نتيجة تطور بطئ يمتد بأصوله إلى الماضي البعيد . ومن ثم لا يمكن فهمها إلا بدراسة التاريخ والتراث والتقاليد التي نشأت فيها وتطورت من خلالها . وبعضها جاء نتيجة تغير ثوري مفاجئ . ومن ثم استخدمتها الحكومات الثورية لتثبيت دعائم النظام

الجديد . وبعضها فرضت على شعوبها المهزومة من جانب المنتصر الظافر . ومن ثم قامت على أسس وضعها هذا الأخير لتخدم أغراضه كما هو الحال في اليابان وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية . وبعضها جاء وليد الرغبة في الإسراع بعملية التغيير أو التحول الاجتماعي كما حدث في إنجلترا بعد الحرب العالمية الثانية بصدر قانون بتلر سنة ١٩٤٤ . وكما حدث ويحدث أيضا في بعض الشعوب العربية والنامية في محاولة بناء نظمها التعليمية على أسس عصرية حديثة تحقق آمالها وطموحها في الحياة الكريمة .

أهداف التربية المقارنة

للتربية المقارنة أهداف متعددة نعرض لها فيما يلي :

أولا : الهدف العلمي الأكاديمي : لدراسة التربية المقارنة هدف علمي أكاديمي . فللتربية المقارنة قيمتها العلمية من حيث أن العلم قيمة في ذاته . فلا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . وفضل الله الذين أتوا العلم درجات . وهذا يعني أن التربية المقارنة كميّان من الدراسات العلمية الأكاديمية له أهمية في ذاته بصرف النظر عن أهميته العلمية أو التطبيقية شأنها في ذلك شأن كثير من العلوم الأخرى .

إن العمل العقلي محبب إلى نفس كل باحث أو طالب علم . وإن المتعة العقلية من مداومة التأمل والتفكير والبحث والإطلاع عملية يحس بها كل عالم . وقد يتوج هذه المتعة شعاع فكري غامر يحمل معه إكتشافا جديدا أو مولد فكري جديد . عندها يحس الباحث بسعادة علمية عظيمة . ذلك أن الكشف العلمي والبحث عن المجهول حبيب إلى كل نفس سواء في ذلك من يقلب في صفحات الكتب أو من يقف في أي مختبر عظيم . وهكذا تتأكد الأهمية الأكاديمية للتربية المقارنة . ومن أهم دعاة الأهمية الأكاديمية للتربية المقارنة لاواريز و بيريداي اللذان يريان أن الهدف من دراسة التربية المقارنة هو هدف عقلي ، فالناس يحبون دراسة النظم التعليمية لأنهم شغوفون ومتطلعون لذلك . ومع أن بيريداي ومن نحا نحوه يؤكد الأهمية النظرية لدراسة التربية المقارنة فإنه لا يقلل من أهميتها

التطبيقية والعلمية كما سنرى .

ثانياً، الهدف الحضاري : تتيح التربية المقارنة فرصة التعرف على ثقافات الشعوب وحضارتها في أبعادها المختلفة . فعن طريق التربية المقارنة يمكننا أن نعرف الكثير من عادات الشعوب وطبائعها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ومن ثم تساعد التربية المقارنة على التقارب بين الشعوب وتفاهمها بما تتيحه من التعرف على ثقافات الشعوب المختلفة وأنظمتها التعليمية . وكذلك بما توفره من لقاءات بين مختلف القيادات التربوية لكل الشعوب سواء في المحافل الدولية أو المؤتمرات والندوات العلمية المختلفة . وهي بهذا تساعد شعوب العالم على معرفة موقعها من الكرة الأرضية التي تنتمي إليها . هذا بالإضافة إلى ما تحققه التربية المقارنة عن طريق ذلك من المساعدة على خلق لغة مشتركة وأرضية موحدة تجمع بين هذه الشعوب مما يؤدي إلى مزيد من التفاهم والتقارب بينها . وإلى جانب هذا تساعد التربية المقارنة دارسيها على امتداح النظم التعليمية الأخرى وتقديرها بما يطلعون عليها من جوانب أصيلة تستحق هذا الامتداح والتقدير . فلكثير من النظم التعليمية من السمات ما يبعث على الدهشة والإستغراب ، أو ما يدعو إلى التساؤل والتفكير ، ولا يملك الإنسان معها إلا أن ينحني أمامها إجلالا وتعظيما . ومن ناحية أخرى نجد أن كثيرا من المربين نتيجة لعزلة الفكرية وتقوقعهم في داخل مجتمعهم ، قد يدفعهم الغرور إلى تعظيم نظمهم التعليمية بدون مبرر أو وجه حق ، أو يسيطر عليهم شعور الارتياح والرضا بالأمر الواقع على أساس أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان . وتساعد التربية المقارنة هؤلاء على التقليل من غلوائهم وتقديرهم الزائد لنظمهم القومية من ناحية ، وتستثير فيهم الحماس من أجل تحسينها وتطويرها من ناحية أخرى . وإلى جانب هذا تساعد التربية المقارنة على تنمية الاتجاه الموضوعي في دراسة المشكلات التعليمية المشتركة للدول المختلفة بما يحقق لها الفائدة المشتركة أيضا .

ثالثاً، الهدف السياسي : للتربية المقارنة هدف سياسي يتمثل في الكشف عن علاقة الفرد بالدولة وتركيبها السياسي وما يرتبط بذلك من النظريات

والأهداف السياسية للدولة ونواياها تجاه الدول الأخرى سواء كانت هذه الأهداف مستترة أو معبراً عنها بصراحة . وأوضح مثال لذلك ما حدث في ألمانيا على يد هتلر عندما أدخل نظام التدريب الإجباري في المدارس الذي كشف عن نوايا هتلر العدوانية نحو الدول الأوروبية . ومثالها أيضاً ما حدث في أمريكا بعد إطلاق أول سفينة فضاء سوفيتية وما ترتب على ذلك من رد فعل عنيف على نظام التعليم الأمريكي واتهامه بالقصور، و بروز الإهتمام بدراسة نظام التعليم السوفيتي واللغة الروسية والعلوم الرياضية والطبيعية . وهو ما تجسم في صدور قانون التربية للأمن القومي في الولايات المتحدة الأمريكية - National Defense Education Act (١٩٥٨) ، وما حدث في كل من اليابان وألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية من بعث الروح العسكرية وتنميتها . وما حدث في هاتين الدولتين بعد هزيمتهما في الحرب واتباع أمريكا لسياسة تربية تستهدف القضاء على الروح العسكرية فيهما ، وتنمية القيم الديمقراطية الغربية هو أيضاً من الأمثلة على الهدف السياسي الذي يتحقق بدراسة التربية المقارنة . وبالمثل يمكن أن يقال إن السياسة التعليمية التي اتبعتها إسرائيل في الجزء الذي احتلته من القدس العربية بعد عدوان ١٩٦٧ وتطبيق نظام المدارس الإسرائيلية على المدارس العربية هناك يكشف بصورة واضحة عن نوايا إسرائيل في الاحتفاظ بالقدس كلها كجزء لا يتجزأ منها . وهو ما أعلنته إسرائيل صراحة فيما بعد .

رابعاً، الهدف النفعي الإصلاحي : إن بروز الإهتمام بالتعليم بصورة متزايدة وظهور المشكلات التعليمية المختلفة وما ترتب على ذلك من ظهور الحاجة إلى الاستفادة من المواد المقارنة للاستفادة من خبرات الآخرين في رسم سياسة تعليمية وشيدة قد أكد الجانب النفعي الإصلاحي للتربية المقارنة . فلا شك أن التربية المقارنة تزود راسمي السياسة التعليمية والمخططين للتعليم ببدائل رسم السياسة واتخاذ القرار حتى تأتي السياسة التعليمية أو الخطة التعليمية على أساس علمي سليم . وهذه الأهمية تبرز الجانب النفعي للتربية المقارنة . أو بمعنى آخر تظهر أهميتها كدراسة مفيدة . وقد ساعد على تأكيد هذه النفعية تزايد الأهمية الحيوية للتعليم وضخامة حجمه وتعدد مشكلاته ، وما ترتب على ذلك

من ظهور الحاجة إلى المواد والدراسات المقارنة للاستفادة من خبرات الدول الأخرى في رسم السياسة التعليمية ، واختيار أفضل الاحتمالات للتطوير . والواقع أن الاهتمام كان موجها على طول فترات ومراحل تطور التربية المقارنة إلى أهميتها العملية في الاستفادة من النظم وما يترتب على هذه الاستفادة من قيمة نفعية ونتائج تطبيقية . كما أن التربية المقارنة تساعد دارسيها على فهم مشكلات التربية في بلادهم والتعمق في تحليل جوانبها وأبعادها المختلفة وتزودهم بالحلول المختلفة التي اتبعتها الدول الأخرى في مواجهة مشكلات مماثلة . وفي نفس الوقت تنمي فيهم الحساسية والوعي معا بالتزام الحرص والحذر في استعارة هذه الحلول على علاقتها إلا بعد تكييفها ومواءمتها للظروف المحلية التي تعمل فيها النظم القومية للتعليم .

ومعنى هذا أنه ينبغي بالنسبة للجانب النفعي أن يتسم بالحذر . ذلك أن النقل أو الإستعارة للأنظمة التعليمية عملية لا تؤمن عقباها ما لم تتوافر لها ضمانات النجاح ومن أهمها المواءمة والتكيف . وأوضح مثال على ذلك ما حدث في إندونيسيا عندما كان يستعمرها الهولنديون وما قاموا به في القرن الثامن عشر من نقل نظام التعليم في بلادهم ، وإقامة المدارس الإندونيسية على غرار المدارس الهولندية . وكان ذلك سببا في غضب الإندونيسيين ورفضهم اغتراب أطفالهم عن بيئاتهم وحياتهم الأصلية ، مما اضطر هولندا في النهاية إلى إدخال تعديلات كثيرة على النظم التي أدخلوها في نهاية القرن التاسع عشر .

التربية المقارنة وتاريخ التربية :

يرى كاندل كما سبق أن أشرنا أن التربية المقارنة هي « امتداد بتاريخ التربية حتى الوقت الحاضر » وفي رأيه أن التربية المقارنة مثلها مثل تاريخ التربية تبحث عن العوامل التي تشكل النظم التعليمية وتوجد الفروق بينها . والواقع أن هذا الرأي وإن كان يربط بين التربية المقارنة وتاريخ التربية يجب ألا يفهم منه أنه يجعلهما شيئا واحدا . فالتربية المقارنة تعني أساسا بالحاضر أي واقع النظم التعليمية في الفترة الراهنة . أما تاريخ التربية فيعني بالماضي . وإذا كانت التربية المقارنة تستعين بتاريخ التربية فذلك لأن المنهج التاريخي يعتبر أحد

مناهجها الرئيسية على أساس أن الماضي يفسر الحاضر ويوضحه . ويتفق هذا الرأي مع ما يؤكد به بريداي من أن التربية المقارنة دراسة ذات طابع تتداخل فيه علوم ميادين مختلفة .

التربية المقارنة والتربية العالمية :

من المعروف أن من أهم أغراض الأمم المتحدة منذ إنشائها بعد الحرب العالمية الثانية هو تحقيق السلام العالمي ونبذ فكرة الحرب . والفكرة الأساسية التي تقوم عليها فكرة السلام العالمي هي أن الحرب تبدأ أول ما تبدأ في عقول الناس . فإذا استطعنا أن نربي هذه العقول على حب السلام ونبذ الحرب فإننا نضمن بذلك عدم تعرض العالم مرة أخرى لأحوال حرب مدمرة قد تؤدي به إلى الفناء .

وتستهدف التربية العالمية تحقيق التفاهم العالمي المتبادل بين الشعوب . وتلعب التربية العالمية دورا هاما في هذا السبيل بما تقوم به من جهود في التقريب بين شعوب العالم والتعريف بثقافات هذه الشعوب ونظمها الاجتماعية وتوثيق صلات المحبة والإخاء بينها . ومن ثم فهناك علاقة وثيقة بين التربية المقارنة والتربية العالمية ، وتسهم في تحقيق أهدافها بما توفره من معلومات عن ثقافات الشعوب وأنظمتها الاجتماعية في ارتباطها بالأنظمة التعليمية مما يساعد على تفهم الشعوب بعضها لبعض وتقاربها فيما بينها . يضاف إلى ذلك أيضا أن ما تكشف عنه التربية المقارنة من أوجه التشابه والاختلاف في المشكلات التعليمية للأنظمة المختلفة قد يهيء جوا من التعاطف والفهم والتقدير بين مختلف الشعوب . ولذلك يمكن أن تعتبر التربية العالمية فرعا من فروع التربية المقارنة أو ميدانا من ميادينها .

ميدان التربية المقارنة :

إن التربية المقارنة شأنها شأن علم الاجتماع تعتمد في جوهرها على المقارنة. والمقارنة تتعلق بشكل المعالجة لا بمضمون المقارنة . وهذه المقارنة قد تكون تاريخية عندما تكون بين نظامين تعليميين أو أكثر في عصور مختلفة في مجتمعات مختلفة . وقد تكون المقارنة عبر ثقافة معاصرة لنظم تعليمية مختلفة

في مجتمعات معاصرة مختلفة . وقد تكون المقارنة في داخل المجتمع الواحد بين النظام التعليمي الواحد بين منطقة وأخرى . والمقارنة مهمة لرجال التربية المقارنة حتى ولو كانت الدراسة تتناول نظاما تعليميا معيناً ، أي " دراسة حالة " لنظام تعليمي معين . ومع أن دراستهم تتركز على " دراسة الحالة " إلا أنهم يشيرون إلى أمثلة من نظم تعليمية أخرى على سبيل المقارنة . وهم يحاولون دائماً أن يجدوا تفسيراً لما آلت إليه الأوضاع التعليمية في بلد ما . ولماذا وجدت على هذه الصورة ؟ إن أهم ما يميز المجتمعات البشرية ونظم تعليمها هو تنوعها واختلافها من مجتمع لآخر . فهناك نظم تعليمية في مجتمعات كبيرة وأخرى صغيرة ، ومجتمعات متقدمة وأخرى نامية ، ومجتمعات غنية وأخرى فقيرة ، ومجتمعات صناعية وأخرى زراعية . وفي داخل المجتمع الواحد هناك مناطق حضرية وأخرى ريفية وصناعية وزراعية ، وهناك مدن ريف وحضر ، وغنى وفقر .

ويشير بيريداي إلى أنه على الرغم من عدم وجود اتفاق عام على ما تتضمنه التربية المقارنة ، فإن هناك اتفاقاً تاماً على أن ميدان التربية المقارنة يمكن أن يقسم إلى مجالين :

أ - الدراسات المجالية (المنطقية) Area Studies

ب - الدراسات المقارنة Comparative Studies .

وتكون الدراسات المجالية بدراسة نظام التعليم في بلد واحد أو إقليم واحد . وتكون هذه الدراسات المتطلبات الأساسية الأولية التي لا غنى عنها للدراسة التحليلية المقارنة .

أما الدراسات المقارنة فتكون بالمقارنة بين أكثر من بلد واحد أو عدة بلاد . وتعتبر الدراسات المجالية أو المنطقية أساساً للدراسات المقارنة وتدريباً عليها . وسنشير إلى تفصيل الكلام عن الدراسات المجالية والمقارنة فيما بعد .

ويبدو أن هذا التقسيم هو تقسيم بيريداي نفسه لأنه يتمشى مع مراحل الأربع التي حددها للطريقة المقارنة . فالمرحلتان الأوليان تتعلقان بالدراسة المجالية . والمرحلتان الأخريان تتعلقان بالدراسة المقارنة . ويقول « سبولتون » إن

تقسيم أن تصنيف بيريداي للدراسات المجالية والمقارنة مستخدم في دراسة الجغرافيا مما يدل على تأثير بيريداي بعلم الجغرافيا ، لاسيما السياسة . وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في تعريفه للتربية المقارنة بأنها الجغرافيا السياسية من منظور عالمي . ويعاب على هذا التقسيم عدم الوضوح في مسمياته . ففي الوقت الذي يصف فيه أحد المجالين « بالمقارنة » يسقطها عن المجال الآخر على الرغم من وقوعه في نفس الميدان . ومن ناحية أخرى فإن التقسيم يبدو أنه غير محدد بوضوح ولا يساعد على تفهم واقع ميدان التربية المقارنة بأبعادها المختلفة ، ولذلك يميل كاتب هذه السطور إلى تقسيم ميدان التربية المقارنة إلى الميادين الآتية :

١ - دراسة الحالة : Case Study ويقصد بها دراسة شاملة لنظام تعليمي واحد في بلد واحد أو ولاية واحدة بحيث يتوافر لهذه الدراسة الأساس التحليلي الذي يشرح ويفسر النظام التعليمي في إطاره الثقافي بالصورة التي هو عليها .

٢ - الدراسة المجالية : Area Study ويقصد بها هنا غير المعنى الذي قصده بيريداي . إذ تكون الدراسة المجالية شاملة لمجال معين من النظم التعليمية في منطقة يربط بينها عناصر مشتركة كالتعليم في البلاد العربية مثلا أو في أوروبا الغربية أو في أوروبا الشرقية أو في أمريكا اللاتينية . أو يكون شاملا لدول تتماثل في اتجاهاتها العامة أو نموها وتقدمها كالتعليم في الدول الاشتراكية أو الدول الرأسمالية أو التعليم في الدول المتقدمة أو في الدول النامية وهكذا .

٣ - الدراسة المقطعية أو دراسة المشكلات : Problem Study ويقصد بها دراسة مشكلة معينة في أكثر من بلد واحد يكون في مقدور الباحث ، كدراسة التعليم الابتدائي أو الثانوي مثلا في بلدين ، أو دراسة نظم الامتحانات والنقل أو البرامج والمناهج لمرحلة معينة أو تعليم اللغات الأجنبية أو اللغات القومية أو تعليم الفتاة أو مشكلات التسرب أو الفاقد . وغير ذلك من المشكلات العديدة التي يمكن أن تكون موضوعا لدراسة مقطعية في عدة بلاد تختار في ضوء اعتبارات معينة في ذهن الباحث .

٤ - الدراسة العالمية : Global Study ويقصد بها الدراسة العالمية التي تقوم بها

عادة هيئات أو منظمات على المستوى العالمي . وهذا النوع من الدراسة بالطبع ليس في مقدور باحث واحد القيام به . لأنه يتطلب تضافر جهود ضخمة لكثير من الباحثين على اختلاف مستوياتهم في شتى البلاد . وقد يخطط لهذه الدراسات مجموعة محددة من الباحثين . لكن تنفيذ هذه الدراسات وجمع المعلومات التي تتطلبها وتحليل البيانات التي تشملها وتفسير النتائج التي تترتب عليها ، كل هذا يتطلب جهود فريق متكامل من الباحثين . وقد تعتمد مثل هذه الدراسة على بيانات استفتاءات أو استبيانات ترسل إلى الدول المختلفة أو بيانات معينة عن موضوع معين يطلب من الدول تقديمها ، ومن أمثلة هذه الدراسات ما قامت به اليونسكو سنة ١٩٧٠ من دراسة عالمية عن خفض الفاقد في التعليم ، وما قام به المكتب الدولي للتربية سنة ١٩٦٧ من دراسة عن النقص في معلمي التعليم الثانوي ، وهكذا . وإدراج الدراسات العالمية ضمن ميادين التربية المقارنة يتمشى مع ما سبق أن أشرنا إليه من تصورنا للتربية العالمية على أنها جزء من التربية المقارنة وميدان من ميادينها .

التربية المقارنة كعلم متداخل التخصصات

Interdisciplinary (أو متعدد التخصصات Multidisciplinary)

شعر رجال التربية المقارنة منذ فترة طويلة بالحاجة إلى المواد والميادين العلمية الأخرى لإلقاء الضوء على المشكلات التربوية . وكاندل نفسه لا ينظر إلى التربية في ضوء التطور القومي فحسب ، ولكن في علاقتها بجوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . والآن لا يوجد دارس للتربية المقارنة لا يرى أهمية الاستعانة بالمواد والميادين الأخرى . ومع التسليم بأهمية ضرورة هذا المنهج ، إلا أن الصعوبة تبدو في أنه من المتعذر على باحث بمفرده أن يلم بكل هذه الميادين بصورة كافية . والاستعانة بخبراء الميادين الأخرى تتطلب إلمامهم بميدان التربية وطبيعته ومشكلاته . وهناك مشكلة الاتفاق بين هؤلاء الخبراء على أهمية المشكلة ومنهج بحثها . وترى هيلداتابا « Hilda Taba » أن

دراسي التربية المقارنة يحتاجون إلى استخدام المعلومات والمفاهيم المختلفة المستعارة من مختلف العلوم السلوكية ولاسيما معرفة عملية التطبيع الاجتماعي في مختلف الثقافات وطبيعة الأجهزة المسئولة عنها (Tabá : p . 171) . ويؤكد أندرسون « Anderson » قيمة استخدام منهج العلوم المرتبطة في التربية المقارنة . ويعتقد أن الطرق المستخدمة في العلوم الاجتماعية والنتائج التي توصلت إليها العلوم الأخرى المتصلة لها قيمة وفائدة كبيرة (Anderson : pp . 1 - 23) . وإحدى النقاط الهامة التي أكدها أندرسون وتردد صداها في كل أنحاء العالم ولاسيما لدى أمثال فليب كومبزي هي أنه على الرغم من تجمع مادة كبيرة عن مدخلات النظم التعليمية للعالم فإن ما لدينا قليل جدا بالنسبة للمخرجات التعليمية . وهذا الوضع قد جعل من الصعب إحراز تقدم في التقييم الكمي للتربية .

وعلى كل حال فسواء كانت التربية المقارنة تعتمد على العلوم المتداخلة التخصصات أو العلوم المتعددة فإنه لاغنى لدراسي التربية المقارنة عن الاعتماد على العلوم الأخرى .

ويرى بعض المربين أن التربية المقارنة لم تصل بعد إلى درجة النضج الكامل كعلم مستقل بذاته ، وأنها تشمل مجالا واسعا يصعب تحديده . ولهذا فإنها تقع في داخل كل تخصص . فالمناهج له جانبه المقارن ، وكذلك علم النفس ، وكذلك طرق التدريس ، وغير ذلك . ولذلك فميدان التربية المقارنة مجال كبير للجدل . ولكن على الرغم من هذه الاعتراضات فإنها لا تقلل بأي حال من الأحوال من كون التربية المقارنة علما مستقلا بذاته من علوم التربية ، بل إنها تسمى بملكة العلوم التربوية .

مصادر الباحث في التربية المقارنة :

ينبغي على الباحث في ميدان التربية المقارنة شأنه شأن الباحث في الميادين الأخرى أن يميز بين المصادر الأولية والثانوية والمصادر المعينة ، أما المصادر الأولية فهي المصادر الأصلية . وقد جرت العادة على تمييزها بأنها المصادر التي تعتمد على المشاهدة العينية . لكن في التربية المقارنة ليس هذا التمييز صحيحا دائما . ويمكن القول بأن المصادر الأولية في التربية المقارنة تعني المصادر التي

لا تعتبر معالجة علمية شاملة منظمة وكاملة للموضوع . ومن أمثلتها تقارير اللجان التعليمية والتقارير الرسمية التي تصدرها الوزارات أو المصالح الحكومية، ومحاضر جلسات اللجان أو المؤتمرات أو الندوات أو المجالس المتخصصة والعامّة والتشريعية والقوانين والنشرات والقرارات والصحف وما شابهها من المواد التي تعتبر مادة مباشرة من الميدان . أما المصادر الثانوية فتشمل الكتب والمطبوعات والملخصات وما يشبهها من المواد التي تعتبر من الدرجة الثانية ، وهذه المواد ينبغي أن يحترس منها الباحث في التربية المقارنة لما قد يتعرض له من مزالق في النقل عنها . وينبغي أن يوازن الباحث بين ما يكتبه دارسو النظام التعليمي من الخارج وما يكتبه أهله عنه حتى يحقق نوعاً من التوازن في الأحكام والتعميمات وهناك نوع آخر من المصادر يهتم دراسي التربية المقارنة وهو ما يطلق عليه المواد المعينة . وهي تتمثل في الكتب والمقالات والمطبوعات التي لا تتعلق بالتربية مباشرة ولكنها تتصل بها في جانب أو أكثر من جوانبها . فالكتب التي تتناول الجوانب الثقافية والاجتماعية والسياسية لها أهميتها في الدراسات المقارنة لأنها تلقي الضوء على الأبعاد المختلفة للمشكلة ، بل وتعطي لهذه الأبعاد معنى مفهوماً .